اليهودي قدر ما كانت انعكاسا لموقعهم المجتمعي ــ الطبقي . وفضلا عن ذلك ، فان قراءة دقيقة للزعماء الصهيونيين الاوائل تظهر التكامل بين مختلف الاتجاهات في الحركة الصهيونية كما تظهر التقاء هذه الاتجاهات بدوافع المتموئين . فقد عكست كتابات هؤلاء منذ عهد باكر تشعبات المسألة الصهيونية وعواقبها كما تركت لنا الدلائل الواضحة على محتواها الايديولوجي . والعنصر الذي تتميز به كتاباتهم هو العداء للحركات الاشتراكية الثورية والقلق على اشتراك اعداد اليهود بشكل خاص في هذه الحركات . وقد جاء تبلور الصهيونية عمليا وفكريا انطلاقا من هذا الموقف الايديولوجي كما ان تبني الدول الامبريالية لها كان نتيجة لهذا الموقف .

نشأت الصهيونية عن ظروف القرن التاسع عشر في اوروبة . واغلبية اليهود في الغرب (أي باستثناء السفرديين) كانوا يقيمون انذاك في أوروبة الشرقية ، وبشكل رئيسي في روسية القيصرية . وقد شكلت هذه المنطقة فيما بعد المصدر الرئيسي للمادة السكانية للصهيونية رغم انها لم تكن بالضرورة مصدر قيادتها وتمويلها . وتسلل الرأسمالية الى هذه المنطقة والذي جاء تحت سيطرة رؤوس الاموال الاوروبية الغربية كان قد أدى الى ازاحة الاسس الاقتصادية للبلدان اليهودية التي غلب عليها الطابع التجاري المركنتيلي والحرفي الصغير الذي كان قائما في فترة ما قبل الرأسمالية . وتدمير الحرف الصغيرة والتجارة المحدودة والربا أدى الى قيام حركة هجرة واسعة أخذت بابعاد اليهود عن بلدانهم الى المدن الرأسمالية الآخذة في النمو . وتسلل الرأسمالية بعد ذلك خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر الى المناطق الريفية قام عنه تحرك سكاني شامل جاء بالفلاحين المسيحيين الى المراكز الصناعية مما زاد في تفاقم ظروف الازدحام والبطالة في المدن . والتغيرات الاقتصادية هذه والتي أدت الى تحول جماهير من الفلاحين والحرفيين الى البروليتارية في المدن ، وان شكلت الاساس المجتمعي لنشأة جذور الحركة البروليتارية بايديولوجيتها الاشتراكية الاممية ، فقد ظهرت عنها تحاملات وصراعات تعصبية بين اليهود وغير اليهود . وقام عنها كذلك سيل متزايد من الهجرة باتجاه اوروبة الغربية واميركة الشمالية شكل اليهود القسم الاكبر منه . ومأساة الجماهير اليهودية المسحوقة والتي انجرفت باتجاه الغرب هاربة من ظلم الاقطاعية القيصرية المنهارة ومن الرأسمالية الهزيلة التي جاءت لترثها شكلت ما عرف بالمسألة اليهودية .

ان اوائل من اثاروا « الحل » الصهيوني للمسألة لم يكونوا من اليهود بل من المسيحيين من مسؤولي الدول الاوروبية . وقد رأى فيه بعضهم تخليص اوروبة من « الساميين » ورأى فيه آخرون امكانية زرع نفوذهم بذلك في الشرق الاوسط والمناطق الاخرى المتنازع عليها بين الدول الاوروبية الاستعمارية . والديبلوماسي البريطاني لورانس اوليفانت ، وهو المسيحي المتحمس الذي بدت لزوجته رؤى خيالية عن « عودة » اليهود الى فلسطين لاعتناق المسيحية هناك ، كان من الاوائل بين فئة الصهيونيين المسيحيين . وكذلك كان ارنست لاهاران السكرتير الخاص لنابليون الثالث الذي دعا الى « اعادة » تشكيل الدولة اليهودية في فلسطين وذلك في كتاب وضعه عام ١٨٦٠ عندما كانت الحكومة الفرنسية تتحين فرص الصراع الطائفي بين الموارنة والدروز في لبنان للتدخل عسكريا بالبلاد . وبعد عدد من الصهيونيين المسيحيين ظهر كذلك عدد من المتنصرين ذوي الاصل اليهودي الذين رفعوا شعار الصهيونية بحماس . وافضل مثال على هذه الفئة كان بول فريدمان الذي طالما شغلته مسألة ابعاد اليهود الروس فقام بحملة على رأس شرذمة من المرتزقة لاحتلال الشاطىء الغربي من الجزيرة العربية ليعلن نفسه ملك اليهود هناك فانتهت مغامرته بالفشل والسخرية حين طردته الحامية العثمانية عن المنطقة .

عندما حان وقت اهتداء اليهود انفسهم للصهيونية جاء ذلك على أيدي كبار الاثرياء من